

# سُورَةُ الرَّعْدِ

موقع نور الدين الإسلامي



## الطاف وأنوار سورة الرعد

(013) سورة الرعد

تدبر القرآن الكريم : اذاعة القرآن الكريم - برنامج نوافذ دنيّة

2024-06-08

### المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَخَيْرُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

### مقدمة:

مُتَمَتِّعِينَ حَتَّى كَمَا اللَّهُ إِلَى هَذِهِ الْحَلَقَةِ الْجَدِيدَةِ مِنْ بَرْنَامِجِ نَوَافِذِ دِنِيَّةٍ، لِنَعِيشَ مَعَهَا أَلْطَافَ وَأَنْوَارَ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَأَهْلًا وَمَرْحَبًا بِكُمْ. الْيَوْمَ حَدِيثُنَا سَيَكُونُ عَنْ سُورَةِ الرَّعْدِ، لِنَتَحَدَّثَ عَنْ أَلْطَافِ وَأَنْوَارِ، حَدِيثُنَا سَيَكُونُ مَعَ ضَيْفِنَا الدُّكْتُورِ الدَّاعِيَةِ بِلَالِ نُورِ الدِّينِ، عَضْوِ رَابِطَةِ عُلَمَاءِ الشَّامِ، وَأَسْتَاذِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَسْتَاذِ عُلُومِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ، الْمَشْرِفِ الْعَامِ عَلَى الْمَوْقِعِ الرَّسْمِيِّ لِفَضِيلَةِ الْعَالَمِ الْجَلِيلِ مُحَمَّدِ رَاتِبِ النَّابِلْسِيِّ.

حَتَّى كَمَا اللَّهُ دَكْتُورَ وَأَهْلًا وَمَرْحَبًا بِكُمْ.

### الدكتور بلال نور الدين:

بَارَكَ اللَّهُ بِكُمْ وَنَفَعَ بِكُمْ، وَشَكَرًا لِهَذِهِ الْإِسْتِضَافَةِ الْكَرِيمَةِ.

### المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:

حَتَّى كَمَا اللَّهُ دَكْتُورَ، نَتَحَدَّثُ الْيَوْمَ كَمَا ذَكَرْتُ فِي الْمُقَدِّمَةِ عَنْ سُورَةِ الرَّعْدِ، هَذِهِ السُّورَةُ رَسَالَتُهَا تَقُولُ: الْحَقُّ قَوِيٌّ وَرَاسِخٌ، وَإِنْ لَمْ يَطْهَرِ أَمَامَ الْأَعْيُنِ، وَالْبَاطِلُ مَهْزُومٌ وَضَعِيفٌ، هَذِهِ الْحَقِيقَةُ الْبَسِيطَةُ يَفْعَلُ عَنْهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَلِنَتَحَدَّثْنَا يَا دَكْتُورَ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهَذِهِ الرَّسَالَةِ.

### الدكتور بلال نور الدين:

بَارَكَ اللَّهُ بِكُمْ.

### سبب تسمية سورة الرعد ومقاصدها:

الْحَقِيقَةُ كَمَا تَفَضَّلْتُمْ سُورَةَ الرَّعْدِ ثَلَاثًا وَأَرْبَعُونَ آيَةً، وَهِيَ السُّورَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ فِي تَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ، وَقَدْ قَالَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ، وَلَكِنْ اجْتَهَدَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ سِيَاقَ الْآيَاتِ وَطَرِيقَةَ الْعَرْضِ أَقْرَبَ إِلَى الْقُرْآنِ الْمَكِّيِّ مِنْهُ إِلَى الْمَدَنِيِّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ، وَقَدْ سُمِّيَتْ بِسُورَةِ الرَّعْدِ، لِوُرُودِ ذِكْرِ الرَّعْدِ فِي ثَنَائِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيعَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13)

(سورة الرعد)

ومقصدها العام هو إثبات الإيمان وتثبيتته في القلوب، وتثبيت توحيد الله تعالى في النفوس، وأما مقصدها الفرعي كما تفضلتم، هو بيان قوة الحق في مواجهة زيف الباطل، فالحق واضح، راسخ، ثابت، بينما الباطل ضعيف، زائل، زائف.

سأضرب مثلاً: لو أننا أنشأنا جامعةً تُخرِّج أجيالاً للأمة يكونون عوناً لها في بناء نهضتها وقوتها، فإننا نُنشئها ذا بنية ثابتة، راسخ، تُنشئ القاعات والمختبرات، نجد جامعات قد مضى عليها مئة عام وأكثر فيها عرافةٌ مُعَيَّنة، لأنها أنشئت للحق، لتُنشئ الجيل، بينما عندما تُنشئ مثلاً في العيد ما يُسمَّى السيرك، لبعض الحركات البهلوانية، فإننا نضع خيمةً زائفةً رائحةً سريعةً ليومٍ أو يومين، فالحق من حق الشيء يحقُّ إذا ثبت، أما الباطل من باطلٍ يبطل إذا كان زهوقاً زائلاً، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)

(سورة الإسراء)

فمهما وجدنا من انتفاش الباطل، وانزواء أهل الحق بحقهم، فإن الحق يبقى حقاً، والباطل يبقى باطلاً، فالله تعالى مع الحق، بل إنَّ الله تعالى هو الحق، بل إنه خلق السماوات والأرض بالحق، وأنزل الكتب بالحق، وأرسل الرسل بالحق، لذلك كل ما يتصل بكتاب الله تعالى، وبسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهو باقٍ مستمر، وكل ما يتعد عن الله تعالى الحق، فهو باطل زائل زاهق، لن تقوم له قائمة مهما بدا قوياً إلا أنه ضعيف، من هنا يجب أن تُميَّز بين حق القوة، وقوة الحق، فالحق له قوة ذاتية تتبع في داخله، وما نشاهده اليوم من بطولات أهلنا في فلسطين وعزّة، يوضِّح قوّة الحق، يحملون حقهم في أرضهم، في دينهم، في ثباتهم، في الدفاع عن أعراضهم، فهم أقوياء بحقهم، بينما يعتقد عدوهم أنه على حق لأنه قووي، وهذا ليس صحيحاً، فانت قووي لأنك على حق، ولست على حق لأنك قووي، فالعكس ليس صحيحاً، فمهما ملكت من الأسلحة، ومهما ملكت من القدرات ومن الإعلام، فإن ذلك لا يعطيك ميزةً بأنك على حق، فالقوة لا تصنع الحق، ولكن الحق هو الذي يصنع القوة.

فهذه السورة كما تفضلتم تُبيِّن قوّة الحق في مواجهة الباطل وأهل الباطل، وتُبيِّن أنَّ الحق يملك قوّة ذاتية في داخله، لا يمكن للباطل مهما انتفش وقوي أن يزاحم الحق، صحيح أنه يزاحم أهل الحق حيناً من الزمن، بأن هذا سُئِلَ التدافع بين الحق والباطل، سُئِلَ منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهي سُئِلَ، لكن من الشئ أيضاً، أنه لا يمكن للباطل أن يخلو بالساحة يوماً، فالحق موجود في كل زمان ومكان، فلا يمكن للباطل أن يخلو بالساحة وحده، وكنت أقول دائماً، عندما يتعجب بعض الناس من حجم ما يُحاك للمسلمين من مؤامرات، ومن حجم ما يُحاك لأهل الحق من مؤامرات عظيمة على مستوى العالم كله، حتى إنها حربٌ عالمية مُعلنة ضد الإسلام والمسلمين، فيتعجبون من قوّة هذه المؤامرة، فكنت أقول لهم: بل إنني أتعجب أكثر من بقائنا وقوتنا رغم حجم هذه المؤامرة، فلو تعرّض أهل أي مكان في الأرض لما تعرّض له أصحاب الحق من هذه الهجمة الشرسة، لزالوا عن يكرة أبيهم، ولكننا باقون ومستمرّون رغم كل ما يُحاك ضدنا من مؤامرات، وهذا دليلٌ على أنَّ الحق قووي بأهله وقووي بقوة الله تعالى جلّ جلاله.

**المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:**

بمُدخالته بسيطة دكتور، وأنت استشهدت بما يحصل على أرض عزّة وفلسطين والقدس، من جميل ما ذكرت يا دكتور هذه الحقائق، وكما قلت غابت عن أعين الناس وانخدعوا بالباطل، يخافون منه فيستخفون بالحق، أو يحاولوا أن يقلدوا هذا الباطل، هذه النوعية من الناس تأتي السورة لتقول لهم أنَّ قوّة الباطل مهما ظهرت وانتفش في هشة بلا جذور في الأرض، والحق مهما توارى واختفى فهو راسخ ومتين، وما هو الحق الآن يضرب جذوره وما هنا نرى كيف أنَّ أهل عزّة قد أثبتوا للعالم كله أنهم أصحاب حق، وأصحاب جذور ثابتة في هذه الأرض، بارك الله بكم يا دكتور.

**الدكتور بلال نور الدين:**

بارك الله بكم وحفظكم.

**لله تعالى في الكون كتابٌ مقروء وكتابٌ منظور:**

**المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَجَالِي:**

نذهب الآن للحديث عن أولى آيات السورة، من أول ما تبدأ به السورة، هو التأكيد على أنَّ الله تبارك وتعالى هو الحق، وأنَّ كتابه المُنزَّل من عنده هو الحق، بعد هذه الحقيقة تنتقل الآيات لتُبيِّن أنَّ لله تعالى في الكون كتابٌ مقروء وهو القرآن، وكتابٌ منظور وهو الكون كله، فلتحدثنا يا دكتور عن هذه العظمة بأن الله هو المُدبِّر والقادر، مالك المُلك ومالك الكون، وكل ما يحصل في هذه الدنيا، حصل بعلمه وسمح به، فالله غالبٌ على أمره، نوذ الاستزادة يا دكتور تفضل.

**الدكتور بلال نور الدين:**

تماماً كما تفضلتم، السورة بدأت بذكر الحق من الآية الأولى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
المر يَلِكُ آيَاتِ الْكِتَابِ □ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (1)

(سورة الرعد)

وفي الرابعة عشر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ □ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَتَابِطٍ كَفَبِهِ إِلَى الْمَاءِ يُتْلَعُ قَاهُ وَمَا هُوَ بِيَالِيهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ جَلْبَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ ۚ كَذَٰلِكَ  
يَصْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ۚ قَآمًا الزَّبَدُ قَيْدَهُبْ جُفَاءً ۚ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَصْرِبُ اللَّهُ الْأَمْتَالِ (17)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19)

### الكون قرآنٌ صامت والقرآن كوونٌ ناطق والنبي صلى الله عليه وسلم قرآنٌ يمشي:

لكن في ثنايا السورة، وفوراً بعد الآية الأولى، يبدأ الله تعالى من الآية الثانية بجولة كونية عظيمة، لذلك قالوا الكون قرآنٌ صامت، والقرآن كوونٌ ناطق، والنبي صلى الله عليه وسلم قرآنٌ يمشي، بمعنى أن الكون قرآنٌ صامت، فأنت إذا نظرت إلى الشجرة قادتك إلى الله، وإذا نظرت إلى الطير في السماء فادك إلى خالقه، وإذا نظرت إلى السمكة في الماء قادتك إلى خالقها، فالكون قرآنٌ لكنه صامت، لكن كل شيء فيه ينطق بوجود الله و وحدانيته وكماله، كل شيء في الوجود يقول لك الله موجود، لأن وجوده يدل على وجود خالقه، ويقول لك الله واحد لأن وجوده على هذه الصورة وبهذا التناسق العجيب يدل على أن من يدير هذا الكون واحدٌ لا شريك له، وبأن الله تعالى كامل لأن خلقه كامل، فكل شيء في الوجود ينطق بوجود الله و وحدانيته وكماله.

ثم القرآن كوونٌ ناطق كما نشاهد، كمثال سورة الرعد، فعندما نبدأ من الآية الثانية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِعَمْرِ غَمَدٍ تَرْوَاهَا ۚ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۚ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ  
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)

فالقرآن كوونٌ ناطق، يحدثنا عن الكون وينطق بما فيه، وبآيات عظيمة، القرآن الكريم يزيد على ستة آلاف آية، فيه ألف ومئتا آية تقريباً أي سدس القرآن الكريم هي آيات تتحدث عن الإنسان والكون والحياة، أي آيات تتحدث عن خلق الإنسان عن خلق الحيوان عن النبات عن الأمطار عن الشجر عن الزرع عن الطير، فالقرآن كوونٌ ناطق، ينطق بما في هذا الكون من عجائب قدرته وصنعه جل جلاله، بينما النبي صلى الله عليه وسلم إكراماً للفائدة، كان قرآناً يمشي، فسلوكه في الحياة وتعامله مع زوجته وأولاده، مع أصدقائه ومع أعدائه، مع النبات مع الحيوان، تعامله مع الوجود، هو يتعامل وفق القرآن الكريم، لذلك قالت السيدة عائشة:

{ سئلت عائشة عن حُلِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان حُلْفُه القرآن. }

فالكون قرآنٌ صامت، والقرآن كونه ناطق، والنبى صلى الله عليه وسلم كان قرآنًا يمشى، وكل شيء في الوجود يدل على وجود الله ووحدانيته وكماله. هب أنني قرأت آيةً تتحدث عن الأمر، فيها أمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)

(سورة النور)

فما موقعي أنا المسلم عندما أقرأ هذه الآية؟ أن ألتزم الأمر. هب أنني قرأت آيةً فيها نهي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَنُحِبُّ أَخَذُكُمْ أَن تَأْكُلَ لَحْمَ  
أَخِيهِ مِمَّا فَكَرْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12)

(سورة الحجرات)

فما موقعي أنا المؤمن؟ أن أترك ما نهيت عنه، أن ألتزم ما نهيت عنه. هب أنني قرأت آيةً فيها قصة، يتحدث الله عن قصة صاحب الجنتين، وكيف أهلك الله زرع، ما موقعي أنا المسلم؟ موقعي أن آخذ العبرة والعظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ (111)

(سورة الكهف)

ثم ما موقعي إذا قرأت الآيات التي تتحدث عن الكون؟ كما في سورة الرعد، سُفِّضَ لِنِشَاءِ اللَّهِ فِي الْآيَاتِ الْكُونِيَّةِ فِيهَا، فما موقعي أنا المؤمن؟ موقعي أن أفكر، أن أنظر، أن أعمل النظر وأجمل الفكر في هذه الآيات الكونية العجيبة، وإلا فإنني لم أتدبر القرآن تمامًا، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الَّذِينَ يَذُكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا  
عَذَابَ النَّارِ (191)

(سورة آل عمران)

## المُحَاوَرَةُ هُنَا الْمَحَالِي:

بارك الله بكم، وكأَنَّ هذه الآيات تقول للناس، إن كنتم تكذبون بالكتاب المقروء فتعالوا وانظروا إلى كتاب الله المنظور، الجبال، السماء، الأرض، الشمس، القمر، فكلاهما يدل على وكلاهما يقوِّي الآخر، والكتاب المنظور يزيدنا إيماناً بالقرآن الكريم، وهو الكتاب المقروء، فهذا كله يجعلنا تنتقل إلى رحلتي في مُلك الله، ومن روعة السورة أنها تهبط بنا في مُلك الله درجةً درجة، لتأمل الكون وآياته من الأعلى إلى الأسفل، هذا ظهر في الآية الثانية، وكاننا تنتقل في طائرة، وكتاب الله معنا كدليل، ثم تأتي الآية الخامسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَّابًا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ □ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْتَبُونَ □ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَالُ فِي أَعْتَابِهِمْ □ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ □ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (5)

(سورة الرعد)

نود إلقاء الضوء على أنوار وألطف هذه الآيات يا دكتور تفضل.

## الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم، الحقيقة كما تفصلتم، بدءاً بالآية الثانية تبدأ هذه الجولة الكونية، الآية الأولى هي الكتاب المسطور المقروء (بُكِّتْ آيَاتُ الْكِتَابِ) ثم يبدأ كتاب الكون في الآية الثانية (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أريد أن أقف هنا قليلاً، عند الآية الأولى في الكتاب المنظور (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) إذا رفعها بعمدٍ لا نراها، بعمد غير مرئية، ما هي؟ هي قوى الجاذبية، قال أهل العلم: إننا لو أردنا أن نربط الأرض بالشمس دون قوى الجاذبية، هكذا تخيلوا وافترضوا، وجه الأرض مقابل للشمس وأردنا أن نربطه، نحتاج إلى مليون مليون جبل فولادي، قطر كل جبل خمسة أمتار، طوله مئة وست وخمسون مليون كيلو متر وهي المسافة بين الأرض والشمس، لنربط الأرض بالشمس، وعندها ستصبح الأرض غابة من الجبال، بين كل جبل وجبل لا يتسَّع لجبل ثالث، بين كل عمود وعمود، فتخيلوا الحياة لو كانت القمَد مرئية كما نفع اليوم عندما نضع سقف للبيت، فنحتاج إلى أعمدة في البيت، فنضعها غالباً على الجدران، في المساجد نجد بعض الأعمدة في الوسط لا يقوم السقف بغيرها، فنجد بعض الأعمدة.

## المُسَخَّرُ لَهُ أَعْظَمُ مِنَ الْمُسَخَّرَاتِ:

هب أنّ الأرض كذلك مربوطة بالشمس وتحتاج إلى هذا العدد من الجبال، كيف تكون حياتنا على الأرض؟ طبعاً هذا افتراض لن يكون، ولكن مجرد افتراض نجد أن الحياة لا تُطاق، فقال (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) إنها قوَّة تجاذب التي تجذب الكون فيكون كله يسير في هذا الانتظام الدقيق.

الله تعالى قال في السورة بعد قليل (وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ) المُسَخَّرُ لَهُ أَعْظَمُ مِنَ الْمُسَخَّرَاتِ، فالله تعالى سَخَّرَ الشمس والقمر لنا، فنحن أكرم على الله من الشمس والقمر، لأنه سَخَّرَ لنا الشمس والقمر، الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاث مئة ألف مرَّة، يعني يمكن أن نضع في جوف الشمس مليون وثلاث مئة ألف أرض، القمر الذي نرفقه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ □ فُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ □ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ تُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنَ اتَّقَى □ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)

(سورة البقرة)

ثم بعد ذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا □ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحِينَ □ يُعْنِيهِ اللَّيْلَ النَّهَارَ □ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (3)

(سورة الرعد)

رغم أنّ الأرض كُرَّة، لكنها ممدودة أمامنا، وأيضاً مَدَّ الأرض تشير بالعمق إلى كروية الأرض، لأنه لا يوجد شكل هندسي مُمد خطوطه بحيث لا تصل إلى حرف مُعَيَّن وتنتهي به إلا الكُرَّة لأنها مُمتدَّة الخطوط فيها.

(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ) آية الجبال: انظر إلى الجبل، رواسي، الجبل وتَدُّ بُنِيَّتِ الْأَرْضِ، هو رواسي لأنَّ ما نراه منه هو ثلثه، أمَّا ثلثاه فمغموسان في جوف الأرض، لتثبيت الأرض في حركتها، الأرض تتحرك ثلاثون كيلو متراً في الثانية تقريبا، تدور ونحن لا نشعر بها، لأن الله تَبَيَّنَّا، اللطيف جلَّ جلاله تَبَيَّنَّا، فأنا من بداية اللقاء الجميل مع حضرتك حتى الآن قطعنا في الأرض مسافة،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَرَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)

(سورة النمل)

(مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۖ) هذا الربط بين الرواسي والأنهار دائماً في كتاب الله، لأنَّ الرواسي مستودعات للمياه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)

(سورة الجاثية)

هذا فيه آية لمن يتفكر فيها، لمن يُعَمِلُ النظر، لمن يُجِيلُ الفكر، كما تفضلت بعد ذلك بقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْجَاوِرَاتٍ وَجَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَرِزْقٌ وَجَيْلٌ صِنَاوَانٌ وَعَبْرٌ صِنَاوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاجِدٍ وَنُفْعٌ لِّبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)

(سورة الرعد)

انظروا إلى هذه الآية (يُسْقَى بِمَاءٍ وَاجِدٍ) اليوم ندخل إلى بستان، نحن الآن على أعقاب الصيف وفواكه الصيف الطيبة، التي تودد لنا الودود بها، نعيش من دونها، فالقوت لا يُدَّ منه، الفمخ والخبز، لكن الفواكه ودُّ من الله عزَّ وجل، نجد شجرة الدراق وشجرة المشمش وشجرة الكرز وشجرة التين (وَنُفْعٌ لِّبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ) مع أنَّ الماء واحد، يُسقى بماء واحد فينتج معنا الحلو والحامض والمالح، فهذا من عظيم خلق الله تعالى، ختم الله الآية (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) الأولى يتفكرون، يعني عمل من أعمال العقل، الثانية يعقلون، العقل هو الربط، يربطون هذه بهذه فينتج عندهم من هذا الربط العقلي الفكري، أنَّ لهذا الكون خالقاً لا يمكن أن يكون الأمر مصادفةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَعِيقُ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْتَابِهِمْ ۖ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (5)

(سورة الرعد)

قولهم العجيب، وآيات كثيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْتَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8)

(سورة الرعد)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ النَّوْزَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (12)

(سورة الرعد)

آية من آيات الله، البرق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ كَذَٰلِكَ يَصْطَرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۗ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَصْطَرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17)

(سورة الرعد)

يتحدث عن نعمة الماء وكيف يسيل في الأودية، وكيف يحمل الزبد (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهٗ).  
أيضاً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمُ الشَّجَرَةَ أَمْ تَحْنُ الْمُنشِئُونَ (72)

(سورة الواقعة)

هذه جولة كونية عظيمة في سورة الرعد، مفادها ونهايتها أن يقول المؤمن في نهايتها سبحان الله العظيم، أن يُسبِّح الله تعالى، أن يُنزهه، أن يتجه إليه بالكُلِّيَّة، نحن اليوم عندما يكون إنسان جالساً في مكان ويدخل شخصٌ مُهم، ثم يهمس أحدٌ في أذنك أن فلان الداخل هو مخترع الأبل، أو الآيفون، فأنت تُغَيِّرُ جِلْسَتَكَ وتُغَيِّرُ من كلامك معه، وتتأدب في حضرته، لأنه مخترع الهاتف، فكيف وأنت تقرأ القرآن الكريم، وهذا الهاتف هو عبارة عن تجميع من خلق الله تعالى، عن شيءٍ سمح الله تعالى به فكان، كيف وأنت تقرأ في هذا الكون العظيم، أنت مع الخالق جلَّ جلاله، أفلا تتأدب في حضرته، ألا تخطب وُدَّه، ألا ترجو جَنَّتَه، ألا تخشى ناره، وهو الذي خلق الكون على هذا المثال البدعي، الذي أنشأه من العدم جلَّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ قَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)

(سورة فاطر)

#### المُحَاوَرَةُ هِنَاءَ الْمَجَالِي:

ومن إعجازه أيضاً يا دكتور أنه جاء بلفظ الحق في هذه الآيات التي يتحدث عن عظمته، بالوقوف على مدلولات هذا اللفظ، تبيّن لنا سعة دلالاته، سبب اعتناء القرآن به، تبياناً لمفاهيم الإيمان، وتبييناً لأحكام الإسلام، لفظ الحق وردّ تقريباً مئتين وثلاث وثمانون مرة، وهنا وردت كلمة الحق كثيراً، كما وردت في سورة يونس، كان لها ثقل كبير في هذه الآيات، إذا المدلول العظيم لكلمة الحق لتبيان هذه العظمة في مخلوقاته، لذلك تنتقل هذه الآيات إلى حديثٍ آخر وتركيزٍ آخر على نوعٍ آخر من قدرته تعالى، وهو القدرة على جمع المتناقضات في الكون، هذه المتناقضات يستحيل على أحد أن يجمع بينها إلا الله سبحانه وتعالى، هناك اثنين وثلاثين متناقضة في هذه السورة، نبدأها (وَمَا تَعْصِمُ الْأَرْحَامُ) نود لقاء الضوء على هذه المتناقضات، ما معناها؟ وكيف جاء بالصّد وجاء بالشئ نفسه وبصّده؟ وكيف جمع بين هذه المتناقضات في هذه السورة؟ بارك الله بكم.

## دلائل قدرة الله تعالى على جمع النقيضين:

### الدكتور بلال نور الدين:

شكراً لهذا السؤال الجميل جداً، الحقيقة كما قال الشاعر:

النقيضان لا يجتمعان في الأصل، وجود أحدهما يلغي وجود الآخر، لكن هذا عند البشر، في قوانيننا، لكن الله تعالى يجمع ما شاء من النقيض، وهذه السورة كما تفضلتم فيها هذا الجمع الذي يدل على سرّ من أسرار قدرة الله تعالى، فبدءاً من اسم السورة وهو الرعد، فالرعد يحمل الخوف والرهيبة، ومعه الخير والمطر والبرزق الوفير، نحن نبيح الرعد فنخاف، نشعر بالهيبه ما هذا؟ وفي الوقت نفسه نطمع بما فيه من الخير الوفير والرزق، وكما تفضلتم، قال تعالى: **(اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۗ)**.

غاص: بمعنى نقص، ازداد نقبض النقصان، فالتقصان والزيادة جمعهم الله تعالى في رحم المرأة، طبعاً كيف يكون التقصان والزيادة؟ ممكن السقط، ممكن أن يسقط قبل أن يكتمل خلقه، لأن الله تعالى لم يأذن له بالحياة، بالإكمال، لكن تزداد إلى تسعة أشهر أو قريب ذلك وتلد، فهذا **(تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۗ)** يمكن أن يكون النقص في المولود نفسه، فقد يشاء الله تعالى أن يولد مولوداً بكلية واحدة، ويعيش بها عمراً مديداً، وهذا من رحمة الله تعالى، وقد يلد كاملاً وليس به أي نقص، ممكن أن يكون الزيادة في العدد، نسمع أحياناً خمس توأم تلد المرأة وهذا موجود، أحياناً توأم، وأحياناً واحد، فتزداد الأرحام، ويمكن أن يكون مولود واحد، زمن الحمل يختلف، فهناك امرأة تحمل وتصل للشهر التاسع، هناك امرأة تلد في الثامن، قال: **(وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)**.

أيضاً من دلائل قدرة الله تعالى في جمع النقيضين، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (10)

(سورة الرعد)

الإسرار والجهر **(وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ)**.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَمَا بَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالتَّبَصِيرَ (19)

(سورة فاطر)

نقيضان، هل يستوي الأعمى والبصير؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)

(سورة الأنعام)

فالنور يلغي الظلام، والظلام يلغي النور، الليل والنهار، فوجود أحدهما ينقض وجود الآخر، أيضاً من ذلك في أحوال الإنسان مع خلق الله تعالى، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا ۗ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (56)

(سورة الأعراف)

يخاف الإنسان مما في بعض الظواهر الكونية، ويطمع أيضاً بما فيها من الخير، كالسحاب والبرق والرعد وغير ذلك، أيضاً:



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ □ (15)

(سورة الرعد)

فهناك من يسجد لله تعالى طوعاً وهم المؤمنون الصادقون، وهناك من يسجد لجلالته وعظمته كرهاً.

والحق والباطل نقيضان أيضاً، وهو محور السورة، فالحق يلغي الباطل، والباطل لا أقول يلغي الحق، لكن وجوده يزاحم الحق، فهما نقيضان، لا يجتمعان في مكان واحد في وقت واحد، لكن شاءت حكمة الله أن يجتمعان في الأرض دائماً، بحيث تبقى شئمة التدافع، فيستحق أهل الجنة بالبر والتضحية، ويستحق أهل النار بالنار بالظلم والطغيان، أي كيف تدافع الحق والباطل وهما نقيضان؟ بمعنى أن الله تعالى لو أراد لجعل أعدائنا في كوكب آخر، جعل كوكباً للمؤمنين وكوكباً لغير المؤمنين، وانتهت الحرب نهائياً، ولو شاء لجعلنا في قارتين مختلفتين بحيث لا لقاء بيننا أبداً، ولو شاء لجعلنا في زمنين مختلفين، فمثلاً القرن العشرين للمؤمنين، والواحد والعشرين لغير المؤمنين، فكان من الممكن أن لا نجتمع، الحق مع الباطل في مكان واحد ووقت واحد، لكن شاءت حكمة الله أن يجتمع الحق مع الباطل في كل زمانٍ ومكان، لأن الحق لا يقوى إلا بالتحدي، ولأن أهل الحق لا يستحقون الجنة إلا بالبدل والتضحية.

أيضاً قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ □ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39)

(سورة الرعد)

المحو والإثبات في سورة الرعد، فإن الله تعالى يُقرّر من الأقدار ما يشاء، ويمحو منها ما يشاء، فالأمر كله بيده جلّ جلاله، (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ) هذا من جمع المتناقضات.

فكما تفصلتم، السورة مما بُليت النظر فيها، أو من مزاياها، أنها تجمع بين هذه المتناقضات للدلالة على طلاقة قدرته الإلهية، فنحن البشر نسير في خطٍ واحد، في اتجاه واحد، قد لا نستطيع دائماً أن نجتمع بين شيئين، حتى إنَّ الإنسان كما يقول المتخصصون، لا يمكن أن يقوم بعملين في وقتٍ واحد إلا أن يقصّر بأحدهما، فإنا الآن أتابع بكل حواسي سورة الرعد وهذا اللقاء الطيب معك، لو الآن جاني أحد يتكلم معي لا أستطيع أن أسمع، ولو أعطيت أذناً له لقصّرت في المقابلة مع إذاعة القرآن الكريم، لكن الله تعالى:

{ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تُكَلِّمُهُ فِي جَانِبِ

الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ الْآيَةَ {

(الألباني صحيح ابن ماجه)

{ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ دَخَلَ الطَّوَافَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ يَا مَنْ لَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعِ الْحَدِيثِ فَإِذَا هُوَ الْخَصِيرُ {

(ابن حجر العسقلاني إسناده ضعيف)

فأيضاً هنا المتناقضات في قدرة الله تُجمع، أمّا في عالم البشر وفي قوانين البشر فلا يمكن لها أن تجتمع.

**المُحَاوَرَةُ هِنَاءَ الْمَجَالِي:**

وكأن هذه الآيات تقول لنا: كيف لا تسلمون لله وهو الحق الكامل الذي يملك الكون بكل متناقضاته، يجمع بينها لتؤكد على المحور الأصلي للسورة، وهو أن الحق قويٌّ وراسخ، وأنَّ الباطل ضعيفٌ إلى زوال، وبالاتقال من هذه الآيات وتفصيلها، تنتقل يا دكتور إلى ثلاث أمثلة تخدم هدف السورة بشكلٍ رائع، ما هو هدف هذه السورة؟ ولكن كان لها مفتاح وهو الآية الرابعة عشر (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) كيف صوّر القرآن هذا التصوير الفني الرائع ليصل بنا إلى الهدف الحقيقي للسورة، فلنستمع إلى هذا التصوير يا دكتور.

(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) آية مفتاحية في سورة الرعد:

## الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم، الحقيقة الآية الرابعة عشر كما تفصلتم آية مفتاحية في السورة قال تعالى: ( **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِتَابِيَةً كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَاغِيهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ) هذه الآية العظيمة التي يقشعُ الجلد عند قراءتها تُبَيِّنُ هذه الحقيقة الخالدة التي لا مهرب منها، مهما حاول الإنسان بطغيانه ونفوره أن يذهب بعيداً، فإنَّ الله تعالى يقول: ( **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ** ) ولا يخفى أنَّ تقديم الجار والمجرور شبه الجملة، التي هي الخبر على المبتدأ ( **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ** ) فيها قصرٌ وحصر، فلو قال دعوة الحق له، لما منع لفةً أن تكون لغيره، دعوة الحق له وربما لغيره، لكن عندما قال له دعوة الحق، أي له وحده، لا ينازعه أحدٌ في دعوة الحق **جَلَّ جلاله، (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)** ودعوة الحق هي التوحيد، أنه واحدٌ **جَلَّ جلاله، لا شريك له،** هذه دعوة الحق.

ثم قال: ( **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ** ) فكل ما يدعى فهو من دون الله، فالله فوق كل شيء، فما أشبع الإنسان وما أقل عقله وهو يتجه إلى صنم ليدعوه، وما أكثر ما يقلل من قيمته وهو يعد شيئاً من مخلوقات الله، فهو يدعو شيئاً من دون الله، قال: ( **وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ** ) فانت إذا دعوت الله استجاب الله لك، لأنه قادر، قادرٌ أن يشفيك، وقادرٌ أن يُغنيك، وقادرٌ أن يعطيك، وقادرٌ أن ينصرك، لكن إذا دعوت من دونه، فإنهم لا يستجيبون لك بشيء، وهذه نكرة في سياق النفي، **تَعَمُّ (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ)** أي مهما كان هذا الشيء بسيطاً فإنهم لا يستجيبون لهم بشيء، لا يقدرُونَ على شيء، ثم يأتي هذا المثال العظيم، وهو ما أشرت إليه إشارةً لطيفة لثبات تصوير، التصوير هو أن يصوِّر الله تعالى المشهد وكأنك تراه، فأنت لثباتاً الآيات، أو هذه الآية تتصور وكأنك ترى هذا الشيء بعينك، فالآن المشهد كما يلي: المشهد هو مشهدٌ ناطقٌ متحرك، شخصٌ مهووفٌ، ظمآن، عطشان، يمدُّ ذراعيه، يبسط كَفَّهُ يريد الماء، ولكن أُنَى للماء أن يبلغ فاه، وما هو ببالغه.

( **كِتَابِيَةً كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ** ) كيف يبلغ الماء فاهُ وأنت تبسط يديك؟ فهذا حال المشركين مع أصنامهم، حالهم مع طواغيتهم، حالهم مع من يعبدون من دون الله بشراً أو حجراً أو قطيفةً أو خميصةً كما قال صلى الله عليه وسلم

{ أهدى أبو جهنم بن حُذَيْفَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمِيصَةً شَامِيَةً لَهَا عَظْمٌ، فَشَهَدَ فِيهَا الصَّلَاةَ، فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ: زُذِّي هذه الحَمِيصَةُ

إلى أبي جهنم؛ فَإِنِّي نَطَرْتُ إِلَى عَظْمِهَا فِي الصَّلَاةِ؛ فَكَأَنِّي يَفْتِنُنِي. }

(أخرجه البخاري ومسلم)

هناك من يعبد منصبه، ومن يعبد بلطنه، ومن يعبد فرجه، يُسَخَّرُ كل إمكاناته ليُحقق خدمة ذاته

فيسعى إلى ذلك سعياً كبير، فهب و تصوّر الآن حاله، كحال هذا الشخص الذي لم يصل إلى شيءٍ من الماء، يبسط يده ليلبغ الماء فاه وما هو ببالغه، يشبه حاله هذا الإنسان الذي يدعو من دون الله تعالى ولم يستجاب له، كما أنَّ الماء لم يبلغ فاه بأسط كفيته إليه، فهذه الصورة الحيّة، التي تنطق بوجدانية الله، وتنطق بأنه لا معبود في الكون بحقٍ إلا الله، هي مشهدٌ ناطقٌ متحرك، نُخْتَمُ بقوله تعالى: ( **وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ) وهذا أيضاً أسلوب حصر، النفي مع (إلا) للحصر، أي دعاء الكافرين ليس إلا ضلالاً، لأنه بُعدٌ عن طريق الحق، بُعدٌ عن طريق الإيمان، فهو ضلال، لأنه يبطل الطريق عندما يتوجه لغير الله تعالى، لذلك يمكن للإنسان في حياته أن يخطئ خطأً كثيراً، لكنه منجّه إلى الله تعالى فيعفر الله له.

مع التوحيد ينفع قليل العمل وكثيره، لكن من غير توحيد فإنه لا ينفع قليل العمل ولا كثيره:

{ يا ابن آدم ! إِنَّكَ ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي عَقْرْتُ لَكَ على ما كان فيكَ ولا أبالي يا ابن آدم ! لَوْ بَلَغَتْ دُونُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَعَفَرْتَنِي عَقْرْتُ

لَكَ ( ولا أبالي ) يا ابن آدم ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِعُزَابِ الْأَرْضِ حَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لِأَشْرِكِي بِِي شَيْئاً لِأَتَيْتَكَ بِعَفْرِيهَا مَعْفِرَةً . }

(أخرجه الترمذي وأحمد)

**مثال بسيط:** هب أن إنساناً ركب في قطار منجّه من بلدٍ إلى بلد، وهو يريد أن يتجه إلى مدينة في الجنوب، ركب القطار فأخطأ هو قد قطع التذكرة من الدرجة الأولى، لكنه لم ينتبه فركب في الدرجة الثانية، هذا خطأ، لكن القطار منجّه إلى المدينة التي هو ذاهبٌ إليها لعملي تجاري مهم، وهب أنه أخطأ خطأً ثانياً فنسي أن يأخذ معه طعاماً فجاع في الطريق، وهب أنه أخطأ خطأً ثالثاً فجلس في مقصورة فيها شباب فارغوه بمزاحهم وارتفاع أصواتهم، لكن القطار منجّه إلى وجهته، لكن الشرك والمصيبة العظمى أن يركب في القطار المنجّه إلى الشمال خطأً، فهذا الخطأ لا يعفر، لأنه لن يصل إلى وجهته، كذلك هو الشرك أن يتجه الإنسان إلى غير الله تعالى، فإنه لن يصل إلى شيء، ( **وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ) لذلك مع التوحيد والحق ينفع قليل العمل وكثيره، لكن من غير توحيد فإنه لا ينفع قليل العمل ولا كثيره.

## المُحَاوَرَةُ هِناءَ المَحالي:

كان الآية يا دكتور تتحدث عن سعادة وهمية للإنسان، وكأنها تدعو إلى عدم الانخداع بالباطل ولو كان بَرَّافاً وزاهياً، فالباطل زاهقٌ لا مجاله، والحق هو الأصل، والباطل زبدٌ يطفو على سطح الماء، لكن السؤال هنا يا دكتور، أنه في الآية الخامسة عشر جاء بعد دعوة الحق ( **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مِنَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ) ما الحكمة أن حُتِمَ هذا المثال بالسجود لله، وأنَّ جميع ما يملكه الله في السماوات والأرض يسجد له طوعاً وكرهاً، تفضل.

## الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم، الحقيقة المناسبة بين ما ذكر من آياتٍ كونية، في السورة وختمت ( **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ** ) بعد ( **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ** ) أي بعد الجولة الكونية العظيمة، قال تعالى: ( **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ** ) لأن مظاهر عظيمة الله تعالى في الكون تنطق بوجود الله ووجدانيته وكماله، إذ له وحده دعوة الحق، فالخالق العظيم الجليل يجب أن يُسَبِّحَ، يجب أن يُدعى، الحالة المشركين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﷻ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ

كَاشِفَاتُ صُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ فَلَوْ حَسِبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (38)

(سورة الزمر)

لا يستطيعوا أن ينكروا (قُلْ أَقْرَأْتُمْ مَا تُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) لكنهم عندما يتوجهون بتوجهون إلى غير الله، وهذا تناقض عجيب! كيف تقول الله خلقي ورزقني وأعطاني وأمدني، ثم إذا أردت شيئاً تتجه إلى صنمك، فهذه المفارقة العجيبة فإذا (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) لأنه الخالق جل جلاله، فما دمت أمنت بأنه خلق، ورزق، وأعطى، وأمد، فيجب أن تتجه إليه بالدعاء لا إلى غيره.

## السجود هو الخضوع لله تعالى:

الآن ما الخطوة التالية بعد ذلك؟ أن تخضع له، السجود هو الخضوع، فالإنسان يخضع لعظيم، الإنسان لا يخضع لحقير ولا لضعيف، الإنسان يخضع لعظيم، بلقيس ما الذي جعلها تقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
قَبِلَ لَهَا اذْخِلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي  
وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (44)

(سورة النمل)

لما وجدت ملكاً لم تشاهده عندها وهي الملكة، لما كشفت عن ساقها لأنها حسبتة لجةً، وهو (صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ قَوَارِيرَ) بان لها ضعفها فخصعت، فالإنسان لا يخضع إلا عندما يعترف بضعفه، ولا يطغى إلا عندما يطن نفسه قوياً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (6) أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى (7)

(سورة العلق)

عندما يطن نفسه مُستغنياً عن الله يطغى في الأرض، عندما يعترف بضعفه يستقيم على منهج ربه، فذلك بعد (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) قال تعالى: (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالَهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْأَصَالِ) فالسجود هو الخضوع لله تعالى، فالترتيب المنطقي للإيمان الترتيب الفكري للإيمان أن تنتظر في الكون فتُفَقِّرُ بأنه إله، إذا يجب أن تتجه له وحده، إذا بعد ذلك تخضع لمنهجه وتسجد له

{ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْبَرُوا الدُّعَاءَ. }

(صحيح مسلم)

## المُحَاوَرَةُ هِنَاءَ الْمَجَالِي:

إذا بعد هذه الآيات التي تحدثت عن أثر كتاب الله المنظور، وهو الكون في إصباح الحق والباطل، يأتي المثال الأروع لكتاب الله المقروء، وهو لو أنّ قرآناً سبّرت به الجبال، ولكن هذا المثال وهذا الإصباح سنتركه للحلقة القادمة بإذن الله تعالى، فتوقف بنا دقائق هذه الحلقة عند المشهد الأول (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) ونكمل في حلقتنا القادمة بإذن الله، أطفاف وأنوار هذه السورة، بارك الله بكم يا دكتور، الشكر الجزيل للدكتور الداعية بلال نور الدين أستاذ التفسير، وأستاذ الإعجاز العلمي والمشرّف على موقع الدكتور محمد راتب النابلسي، نفع الله بكم يا دكتور وزادكم علماً وفضلاً.

## الدكتور بلال نور الدين:

بارك الله بكم، شكراً لهذه الاستضافة الكريمة.

## المُحَاوَرَةُ هِنَاءَ الْمَجَالِي:

شكراً يا دكتور.